الوالدة والولد

كيف يعز على الوالدة ان ترى ولدها مريضاً عاجزاً ولا يعز عليها ان تراه غبياً مفتوناً ، على ان هذا اولى بالرحمة من ذاك . اذا ألمّ بعيني الولد قذىً اسرعت الوالدة اليه بكل مالديها من الوسائل لأزالة ما المّ به ، وان لزمه الالم لازمت فراشه ساهرة باكية تعالج داءه حتى اذا هدئ هدئت ، اما اذا ادركت على بصيرته غشاوة من بلادة او كسل ، او انصراف الى اللعب ، تركته في غشيته ونامت ملء جفنيها كانها لاتعلم ان ذهاب البصر ليس اعظم خطورة على ولدها من ذهاب بصيرته

وكذلك اذا اعتلّ صدره اعتلت لعلته ، وضاق صدرها لضيق صدره ، ولم تفتر عن بذل ما في وسعها لشفائه او تخفيف ألمه . اما اذا ادركت ان صدر ولدها عاطل عن كل حلية ادبية لم يبقَ فيه متسع الا للرذيلة ، لا تشغلها حاله كانها لاترى في ذلك من بأس عليه ، على ان من تكون هذه حاله اولى بالعناية به من ذلك

اما اذا زادت ضربات قلب الولد ، ضعف لها قلب الوالدة ، واذا اقلقه الداء ، اقلقتها الشفقة عليه ، على انها لاتبدي حراكاً اذا هي ايقنت ان قلب ولدها خال من الرحمة والمحبة ، او الحزم والعزم . مع ان مثل هذا القلب الخرب احق باهتمامها من ذلك القلب المضطرب

لا انكر ان ما تعالج به الوالدة امراض ولدها البدنية لا يخلو من خطر عليه ، الا انها تهتم بها وتبذل ما في وسعها لشفائه منها بكل واسطة

مهما كانت مضرة او قليلة النفع . ولكن الغريب في امرها انها لا تعمل شيئاً ما لازالة امراضه الادبية ، على اني لا ادري اذا كانت حالتها هذه ناشئة عن جهلها بقيمة حياة ولدها الادبية ، او لانها واهمة ان هذه الحياة الادبية ليست من اختصاصها وانما هي من اختصاص الوالد والمعلم. اما اذا كانت حجتها جهلها ، فياشقاء ولد هذه حال والدته . أو اذا كان عذرها عدم الاختصاص ، فما أعظم خطورة هذا التخلص أو تلك الاحالة على الولد

هذه حال الوالدة على ما رأيت . وكأن هذا ما رآه اصحاب مشروع كلية البنات فأشفقوا على الامة وارادوا ان يعالجوا داء العائلة بذلك الدواء الشافي فنادوا به مراراً ، ووعدونا به تكراراً ، ولبثت الامة منتظرة ترجو خيراً ، ومن يدري متى يتحقق ذلك الرجاء ، وقد مر علينا زمن لم نسمع فيه عن ذلك المشروع سوى قول الامة « الآمال معقودة » وقول رجال المشروع « الهمة مبذولة »

أما انا وقد اعتادت اذني سماع النداء بمثل هذا المشروع كما اعتادت عيني رؤية سقوطه فلا انظر اليه الا بعين المستريب ، الا اني ارجو كما يرجون ، الى ان يحقق المصلحون امراً كان مفعولاً . على ان هذا لا يمنعني أن اوجه بعض كلمات الى الوالدة :

أيتها الوالدة الكريمة . ان لولدك عليك حق ، ففيه حقه رحمة به وبنفسك وبأمتك . ان لولدك نفس مطبوعة على حب الرقي ، فخذي بيده كما تاخذين بيد العاجز تهديه سواء السبيل .

انك مسؤولة عن ولدك جنيناً في احشائك فكونيه سليماً هادئاً ، وطفلا بين ذراعيك فاحفظيه نقياً معافى ، وصبياً بين يديك ، فقوميه شهماً كريماً ، والا فمصيبته فيك، مصيبة الزرع اهمله الزارع، ومصيبتك فيه مصيبة الزارع خاب زرعه .

أيتها الوالدة الكريمة . نشطي ولدك اذا رأيته مال الى الخمول ، وافتحي أمامه باب الامل اذا رأيته مال الى اليأس ، وامنعيه صحبة أهل الشر خوف الوقوع في حبائل الفساد ، وازرعي في قلبه محاسن الاخلاق ليكون رجلا تقر به عينك في حياتك ، وتستحقين رحمته ورحمة الناس بعد وفاتك . فما أسعد من تموت وهي ترى ابنها زهرة زاهية زاهرة تثمر خيراً وبركة ، وما ماتت من تركت مثل هذا الخلف الصالح .

اني احترمكِ ايتها الوالدة الكريمة ويحزنني جداً أن يقال عنك جاهلة نشأت في منبت سوء فاثمرت شوكاً وحسكاً . كما انه يسرني جداً ان يقال عنك ربيبة فضل أحسنت عملاً فنالت جزاء المحسنين .

فسلام عليك أيتها الوالدة الكريمة يوم تولدين ويوم تموتين ويوم تبعثين في أولادك كما ترتجين ، كريمة المولد ، عظيمة الحياة ، فاضلة الأثر والمآثر ،

م . ب . داوود